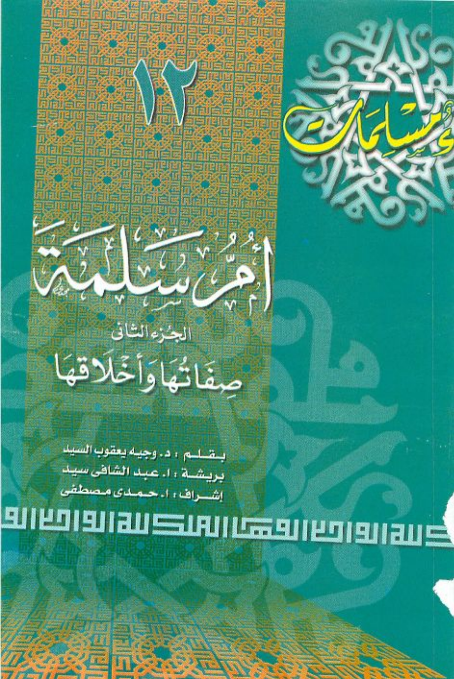


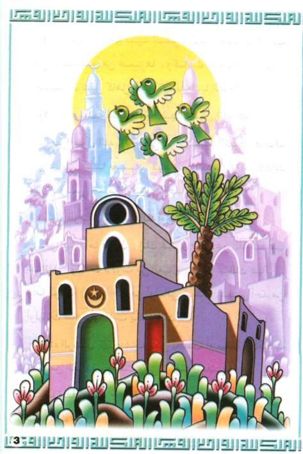
١٢
مسلمات
أم سلمة
الجزء الثانى
صِفاتُهَا وَأخلاقها
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

بَعْدَ أَنْ تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الأَسَدِ ، وَوَدَّعَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى مَثْوَاهُ الأَخِيرِ ، عَاشَتْ زَوْجَتُهُ مَعَ صِبْيَتِهَا الصِّغَارِ فِي حُزْنٍ شَدِيدٍ ، فَقَدْ فَقَدُوا الأَبَ الْحَنُونَ وَالْعَائِلَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَرْعَى شُئُونَهُمْ وَيُلَبِّي مَطَالِبَهُمْ .

وَاتَّجَهَتْ أَنْظَارُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ وَأَوْلادِهَا ، فَمَا إِنِ انْتَهَتْ مِنْ حِدَادِهَا ، حَتَّى تَسَابَقَ الصَّحَابَةُ إِلَى الزَّوَاجِ مِنْهَا ، لِكَيْ يُعَوِّضُوهَا عَنْ فَقْدِهَا لِزَوْجِهَا ، وَيَقُومُوا بِرِعَايَةِ أَبْنَائِهَا الصِّغَارِ ، وَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَيْهَا لِكَيْ يَخْطُبَهَا لِنَفْسِهِ ، لَكِنَّهَا رَدَّتْهُ وَلَمْ تُجِبْهُ إِلَى طَلَبِهِ ، كَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَخْطُبُهَا ، فَرَدَّتْهُ كَمَا رَدَّتْ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَدْ كَانَتْ مُتَأَثِّرَةً بِوَفَاةِ زَوْجِهَا تَأَثُّرًا كَبِيرًا ، كَمَا كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ مَكَانَةَ زَوْجِهَا لا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا أَحَدٌ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْوَقْتِ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَأَوْلادِهَا ، ثُمَّ رَأَى الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَضُمَّ هَذِهِ السَّيِّدَةَ إِلَى نِسَائِهِ ، وَيَرْعَى أَبْنَاءَهَا كَمَا يَرْعَى أَبْنَاءَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَنْ يَخْطُبُهَا لَهُ ﷺ .

وَتَلَقَّتِ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ هَذَا الْخَبَرَ بِدَهْشَةٍ ، حَيْثُ لَمْ



تَتوقَّعُ أَنْ تكُونَ زَوجَةً لسيِّدِ البَشرِ ، كَما كَانَتْ قَدْ قَارَبَتْ عَلى الْخَمْسِينَ من عُمْرِهَا ، وكَانَتْ شَدِيدَةَ الْغَيْرَةِ ، وَخَشِيَتْ أَنْ تُثْقِلَ كَاهِلَ النَّبِيِّ ﷺ بِأَبْنَائِهَا الصِّغَارِ .

وَقَالَتْ أُمُّ سلَمَةَ لِمَنْ جَاءَ يَخْطُبُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

ـ أَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، أَنِّي امْرَأَةٌ شَدِيدَةُ الْغَيْرَةِ ، فَأَخَافُ أَنْ يَرَى مِنِّي شَيْئًا يُغْضِبُهُ ، فَيُعَذِّبَنِي اللَّهُ ، وَأَنَا امْرَأَةٌ ذَاتُ عِيَالٍ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا .

وَسَمِعَ الرَّسُولُ ﷺ مَا قَالَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ ، فَقَالَ :

ـ قُلْ لَهَا : أَمَّا قَوْلُكِ : إِنَّكِ غَيْرَى فَسَأَدْعُو اللَّهَ فَتَذْهَبَ غَيْرَتُكِ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ ، فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي ، وَأَمَّا قَوْلُكِ : لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكِ شَاهِدٌ أَوْ غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ .

وَجَاءَ الرَّسُولُ ﷺ بِنَفْسِهِ لِكَيْ يَخْطُبَ أُمَّ سَلَمَةَ ، فَكَادَتْ تَطِيرُ مِنَ الْفَرْحَةِ ، وَقَالَتْ وَهِيَ لا تُصَدِّقُ نَفْسَهَا :

ـ مَا مِثْلِي يَتَزَوَّجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَنَا لا يُولَدُ لِي ، وَأَنَا غَيُورٌ ذَاتُ عِيَالٍ .

فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ :

ـ أَنَا أَكْبَرُ مِنْكِ ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ فَيُذْهِبُهَا اللَّهُ ، وَأَمَّا الْعِيَالُ فَإِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَعِنْدَئِذٍ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لابْنِهَا عُمَرَ :

ـ قُمْ فَزَوِّجْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

فَقَامَ عُمَرُ فَزَوَّجَهُ ﷺ ، وَمِنْ هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَصْبَحَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُمًّا لِلْمُسْلِمِينَ .

كَانَتْ أُمُّ سلمة مَوْصُوفَةً بِالْجَمالِ الْبَارِعِ ، وَالْعَقْلِ الرَّاجِحِ ، وَالرَّأْيِ الصَّائِبِ ، وَقَدْ وَصَفَتْهَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِالْجَمَالِ وَالْعَقْلِ ، وَلاَحَظَا أَنَّ لَهَا مَكَانَةً كَبِيرَةً فِي قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَأَصْبَحَ الرَّسُولُ ﷺ بِالنِّسْبَةِ لأُمِّ سَلَمَةَ الزَّوْجَ الْحَنُونَ ، وَبِالنِّسْبَةِ لأَبْنَائِهَا الأَبَ الْحَانِي الَّذِي لاَ يُغْمَضُ لَهُ جَفْنٌ ، حَتَّى يَطْمَئِنَّ عَلَيْهِمْ ، فَمَا إِنْ تَتَغَيَّبُ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْهَا فِي لَهْفَةٍ وَيَقُولُ :

ـ أَيْنَ زُنَابُ ؟

كَمَا زَوَّجَ سَلَمَةَ مِنْ بِنْتِ عَمِّهِ «أُمَامَةَ بِنْتِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » ، وَقَالَ ﷺ لأَصْحَابِهِ :

ـ تَرَوْنَ كَافَأْتُهُ ؟

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى رِعَايَةِ الرَّسُولِ ﷺ لَهَا وَلأَبْنَائِهَا رِعَايَةً تَامَّةً ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ جَالِسًا مَعَ أُمِّ سَلَمَةَ وَابْنَتِهَا زَيْنَبَ ، فَجَاءَتْهُ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ وَمَعَهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، فَضَمَّهُمَا ﷺ إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ :

ـ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

وَلَمْ تَتَمالَكْ أُمُّ سَلَمَةَ نَفْسَها فَبَكَتْ ، فَتَعَجَّبَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ ذلِكَ وَسَأَلَها :

ـ ما يُبْكيكِ ؟

فَقالَتْ :

ـ يا رَسُولَ اللّهِ خَصَصْتَهُمْ بِدُعائِكَ ، وَتَرَكْتَني وَابْنَتي .

فَقالَ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ :

ـ إنَّكِ وَابْنَتَكِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ .

فَهَلْ هُناكَ حَنانٌ وَرَحْمَةٌ أَكْثَرُ مِنْ ذلِكَ ؟ وَهَلْ هُناكَ إنْسانِيَّةٌ أَكْثَرُ مِنْ إنْسانِيَّةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ؟!

وكَمـا اتَّصفت أُمُّ سلَمةَ بالْجمـال ، فقد اتَّسمتْ بقُوَّة الشَّخْصيَّة وعزَّة النَّفس ، فقدْ راجعتْ عُمَرَ بْنَ الْخطَّاب وتصدَّتْ لَهُ بقُوَّة حين أَرادَ أنْ يتدخَّل في شُئُون بيْت الرَّسُول ﷺ .

فبينما عُمرُ بْنُ الْخطَّاب رضي الله عنه يقُومُ ببعْض الأعْمال إذْ أشارتْ عليْه زوْجتُهُ قائلةً :

ـ لوْ صنعْتَ كذا وكذا لكان أفْضل !

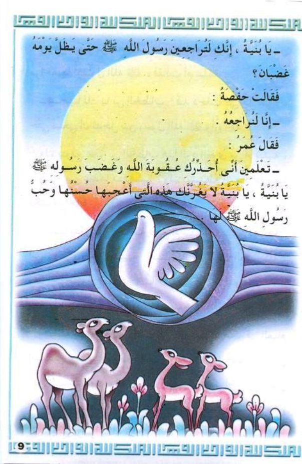
وكانت الْمرْأةُ في الْجاهليَّة لا يُؤْخذُ برأْيها ولا تُسْتشارُ في شيْء ، فتعجَّب عُمرُ بْنُ الْخطَّاب منْ أمْر زوْجته وقال لها :

ـ مالك ولما هاهُنا ، فيم تدخُّلك في أمْر أُريدُهُ ؟

فقالتْ لهُ :

ـ ما أعْجبَ أمْرك يا بْن الْخطَّاب ، لا تُحبُّ أنْ يُراجعك أحدٌ ، وإنَّ ابْنتك حفْصة لتُراجعُ رسُول اللَّه ﷺ حتَّى يظلَّ يوْمهُ غضْبانَ !

فانْطلق عُمرُ بْنُ الْخطَّاب حتَّى دخل على ابْنته فعاتبها قائلاً :



ـ يا بُنيَّةُ ، إنَّكِ لَتُراجِعين رسُولَ اللَّه ﷺ حتَّى يَظَلَّ يومَهُ غضْبانَ ؟

فقالَتْ حفْصةُ :

ـ إنَّا لَنُراجِعُهُ .

فقالَ عُمرُ :

ـ تعْلَمين أنِّي أُحذِّرُكِ عُقوبةَ اللَّهِ وغضبَ رسُولِه ﷺ يا بُنَيَّةُ ، يا بُنيَّةُ لا يغُرَّنَّكِ هذهِ الَّتي أعْجبها حُسْنُها وحُبُّ رسُولِ اللَّه ﷺ لها .

وَدَخلَ عُمرُ بْنُ الْخَطَّاب علَى أُمِّ سلَمةَ وراحَ يُحذِّرُها منْ مُراجعَتِها لرسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقَالتْ أُمُّ سلَمةَ :

ـ عَجبًا لكَ يَا بْنَ الْخَطَّاب ! قدْ دخلْتَ فى كُلِّ شيْءٍ ، حتَّى تبْتغِى أنْ تدْخُلَ بيْنَ رسُولِ اللَّهِ ﷺ وأزْواجه ؟

ولَمْ يتوقَّعْ عُمرُ بْنُ الْخطَّاب هذَا الرَّدَّ الْقوىَّ منْ أُمِّ سلَمةَ ، فخرَجَ منْ عنْدهَا مُنْدهشًا ، ولَمْ يسْتطعْ أنْ يرُدَّ علَيْها بكلمةٍ واحدةٍ .

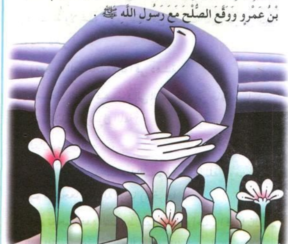
وممَّا يدُلُّ على رجَاحةِ عقْلِ أُمِّ سلَمةَ ، مشُورتُها على الرَّسُولِ ﷺ يوْمَ الْحُدَيْبيةِ ، حيْثُ كانَ فى رأْيها الْخيْرُ كُلُّهُ ، وقدْ أخْرجتِ الرَّسُولَ ﷺ ممَّا كانَ فيه منْ حُزْنٍ وغَمٍّ بسبَبِ معْصيةِ الْمُسْلمينَ لأمْرِه واعْتراضهمْ علَى هذَا الصُّلْحِ .

وقصَّةُ هذَا الصُّلْحِ ، أنَّ النَّبىَّ ﷺ قصَدَ مكَّةَ فى الْعامِ السَّادسِ للْهجْرةِ ، ومعَهُ ألْفٌ وأرْبعُمائةٍ منْ أصْحابه ، منْ أجْلِ الْعُمْرةِ وأداءِ الْمناسك ، وفى الطَّريقِ أخْبرَهُ بعْضُ الْمُسْلمينَ أنَّ أهْلَ مكَّةَ لنْ يتْرُكُوهُ يطُوفُ بالْكعْبةِ هُوَ ومنْ معَهُ ، فقَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- إنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتالِ أَحَدٍ ، وَلَكِنْ جِئْنا مُعْتَمِرِينَ .

وَأَرْسَلَ الرَّسُولُ ﷺ رِسالَةَ سَلامٍ إلى أَهْلِ مَكَّةَ ، يَطْلُبُ مِنْهُمْ فِيها ألاَّ يَمْنَعُوهُ مِنْ زِيارَةِ الْبَيْتِ الْحَرامِ ، وأَنْ يُوَقِّعُوا صُلْحًا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ، فَلاَ تُراقُ الدِّماءُ ، وَلاَ يُعْتَدى عَلى الْحُرُماتِ .

وَأَرْسَلَ أَهْلُ مَكَّةَ مَبْعُوثًا مِنْ عِنْدِهِمْ لِيُوَقِّعَ هَذا الصُّلْحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُمْلِيَ شُرُوطَهُ ، وَجاءَ الْمَبْعُوثُ وَهُوَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَوَقَّعَ الصُّلْحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .



كَانَتْ شُرُوطُ الصُّلْحِ جَائِرَةً ، فَقَدْ طَلَبَ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :

ـ أَنْ يَعُودُوا هَذَا الْعَامَ دُونَ أَنْ يَعْتَمِرُوا ، عَلَى أَنْ يَسْمَحَ لَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ بِالْعُمْرَةِ الْعَامَ الْقَادِمَ .

ـ أَنَّهُ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَعَلَى مُحَمَّدٍ أَنْ يُعِيدَهُ ، أَمَّا مَنِ ارْتَدَّ عَنِ الإِسْلامِ فَلا يُعِيدُهُ أَهْلُ مَكَّةَ .

ـ أَنْ تَكُونَ مُدَّةُ الصُّلْحِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ لا قِتَالٌ فِيهَا وَلاَ خِيَانَةٌ وَلاَ غَدْرٌ ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ دَخَلَ فِيهِ .

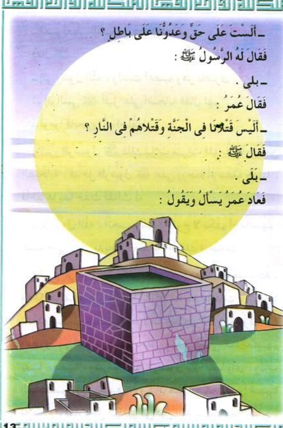
وَتَعَجَّبَ الصَّحَابَةُ وَقَالُوا فِي دَهْشَةٍ :

ـ سُبْحَانَ اللَّهِ ، كَيْفَ نَرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مَنْ جَاءَنَا مُسْلِمًا . أَنَكْتُبُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ نَعَمْ ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ فَسَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا .

وَلَمْ تُعْجِبْ هَذِهِ الشُّرُوطُ الصَّحَابَةَ ، وَأَحَسُّوا فِيهَا بِالظُّلْمِ وَالْمَهَانَةِ حَتَّى إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :



ـ أَلَسْتَ عَلَى حَقٍّ وَعَدُوُّنَا عَلَى بَاطِلٍ ؟

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ بلى .

فَقَالَ عُمَرُ :

ـ أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟

فَقَالَ ﷺ :

ـ بَلَى .

فَعَادَ عُمَرُ يَسْأَلُ وَيَقُولُ :

ـ فَفِيمَ نُعْطَى الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَنْ ؟

فَقَالَ ﷺ :

ـ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ :

ـ قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا .

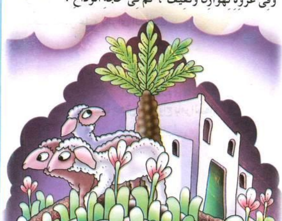
وَكَرَّرَ الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَدَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى زَوْجَتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ حَزِينًا ، فَأَخْبَرَهَا بِمَا حَدَثَ فَقَالَتْ لَهُ :

ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ اخْرُجْ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَتَكَ ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ .

فَخَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ ، فَنَحَرَ بُدْنَتَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الصَّحَابَةُ ذَلِكَ ، شَعَرُوا بِالنَّدَمِ بِسَبَبِ عِصْيَانِهِمْ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَامُوا فَنَحَرُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا ، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا ، وَقَرَّتْ عَيْنُ الرَّسُولِ ﷺ بِمَا رَأَى ، وَثَابَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى رُشْدِهِمْ ، وَكَانَ هَذَا الصُّلْحُ نَصْرًا مُبِينًا لِلْإِسْلَامِ ، فَقَدْ دَخَلَ الْكَثِيرُ فِي دِينِ اللَّهِ بِسَبَبِ هَذَا الصُّلْحِ ،

كَمَا كَانَ هَذَا الصُّلْحُ طَرِيقًا لِفَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَهَكَذَا كَانَ رَأْيُ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَاسِمًا ، وَقَدْ أَخَذَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى رَجَاحَةِ عَقْلِهَا وَصَوَابِ رَأْيِهَا . وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَصْطَحِبُ مَعَهُ أُمَّ سَلَمَةَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ لِكَيْ يَسْتَشِيرَهَا وَيَتَعَرَّفَ رَأْيَهَا ، فَقَدِ اصْطَحَبَهَا مَعَهُ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ ، وَفِي فَتْحِ مَكَّةَ ، وَفِي حِصَارِهِ لِلطَّائِفِ ، وَفِي غَزْوِهِ لِهَوَازِنَ وَثَقِيفٍ ، ثُمَّ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ .



وَعَاشَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ زَمَنًا طَوِيلاً حَتَّى مَاتَتْ عَامَ سِتِّينَ هِجْرِيَّة ، وَكَانَتْ آخِرَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَوْتًا .

رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةَ أُمَّ سَلَمَةَ ، الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ دَخَلُوا فِي الإِسْلامِ ، وَجَاهَدَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَتَحَمَّلَتِ الْمَشَقَّةَ وَالْعَنَاءَ ، وَكَانَتْ نِعْمَ الزَّوْجَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَسْتَشِيرُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ ، فَكَانَتْ تُشِيرُ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ الصَّائِبِ .

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

زينب بنت جحش (١) زواج بأمر السماء

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٥١٣٨
الترقيم الدولى : ٤ ـ ٥٩٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧